توظيف جماليّة المفردات والألفاظ في النص النثري
عند الإمام الحسين (عليه السلام)

الباحث طالب الدكتوراه : م. م. عامر عبد الامير جبر الحدراوي
طالب دكتوراه في كلية الدكتور علي شريعتي للعلوم الانسانية قسم اللغة العربية وآدابها جامعة فردوسي مشهد

المشرف :. الاستاذ الدكتور: سيد حسين سيدي
تدريسي في كلية الدكتور علي شريعتي للعلوم الانسانية جامعة فردوسي
seyedi@um.ac.ir

المشاور :. الاستاذ الدكتور ناصر عبد الاله كاظم دوش
تدريسي في كلية التربية للبنات جامعة الكوفة
nasserdosh@gmail.com

الكلمات المفتاحية: النثر ، التوظيف ، اللفظ ، البناء، الامام الحسين عليه السلام.

كيفية اقتباس البحث
الحدراوي ، عامر عبد الامير جبر، سيد حسين سيدي، ناصر عبد الاله كاظم دوش، توظيف جماليّة المفردات والألفاظ في النص النثريعند الإمام الحسين (عليه السلام)، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، تموز ٢٠٢٥،المجلد:١٥ ،العدد:٤ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

Employing aesthetic vocabulary and words in prose For Imam Hussein (peace be upon him)

Researcher, PhD student: M.M. Amer Abdul-Amer Jabr Al-Hadrawi
Doctoral student at the Dr. Ali Shariati College of Human Sciences, Department of Arabic Language and Literature /Ferdowsi University of Mashhad

Supervisor:Dr. Sayid Husayn Sayidi
Lecturer at Dr. Ali Shariati College of Humanities, Ferdowsi University

Advisor: Dr. Nasser Abdul-Ilah Kazem Dosh
Lecturer at the College of Education for Girls, University of Kufa

Keywords : prose, employment, pronunciation, construction, imam.

How To Cite This Article
Al-Hadrawi, Amer Abdul-Amer Jabr, Sayid Husayn Sayidi, Nasser Abdul-Ilah Kazem Dosh, Employing aesthetic vocabulary and words in prose For Imam Hussein (peace be upon him), Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, July 2025,Volume:15,Issue 4.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract :-

The prose text of Imam Hussein, peace be upon him, has features that are unique from other prose texts in general, and it has the virtue of employing and choosing beautiful words, and it is also distinguished by the brevity and wording of the words. Plenty of meaning, because it is unique in its brevity, conciseness, and comprehensiveness of meanings in a few words. In this study we must carefully consider the possibility of

the Imam's existence. Al-Hussein, peace be upon him, prose and linguistics in brevity, use of words and their placement in a way that suits the prose text of the article.. Therefore, we find that his (peace be upon him) use and choice of the word in his prose gives him the vitality of openness and flexibility of his ability to extend places and times throughout the ages, or specifically to one era according to his book. The horizontal and vertical dimension of expectation for the future on the one hand, and gives it the character of eternity in all its fields.

الملخص :.

النص النثري عند الامام الحسين عليه السلام له من مميزات ينفرد بها عن بقية النصوص النثرية عامة وله ميزة التوظيف وجمالية الانتقاء للألفاظ حيت يتميز بإيجاز الالفاظ وجزالة المعنى ، لأنه ينفرد بالإيجاز والاختصار وتضمين المعاني في الالفاظ القليلة ويتوجب في هذه الدراسة ان ننعم النظر في إمكانية الإمام الحسين عليه السلام النثرية واللغوية في الايجاز واستخدام وتوظيف الالفاظ بما يناسب مقالة النص النثري..

لذا نجد أنّ توظيفه وانتقاءه (عليه السلام) للمفردة في نثره، يعطيه حيوية الانفتاح ومرونة سعته على الأماكن والأزمنة بمرور العصور، أو على العصر الواحد بالتحديد بحسب بُعده في الاستشراف الأُفقيّ والعموديّ للمستقبل من جانب، ويمنحه طابع الخلود في مجالاته كلّها.

المقدمة :.

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على خير خلق الانام ابي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين .

يعرف النثر على أنه تعبير عن المضامين والأفكار والمشاعر وما يدور في الذهن دون قيود فنية وكل ما يدور في النفس وقلب الإنسان من أفكار وخواطر ولا يتقيد بوزن أو قافية، ويدخل فيه الخيال للتعبير عنه وهو لغة التخاطب وشكل من أشكال التعبير، وهو جنس أدبي تستوعبه تفاصيل الحياة والتجارب الإنسانية.

لذلك فإن أدبية النص النثري وجماليته قد تفوق أدبية النص الشعري، ومن هنا أمكننا اتخاذ النص النثري عند الإمام الحسين عليه السلام وجماليته محورا لهذه الإشكالية.

وعلى وفق هذا فدراستنا الموسومة بـ(توظيف جماليّة المفردات والألفاظ في النص النثري عند الإمام الحسين (عليه السلام) تعتمد التحليل الجماليّ التأمّلي، والتأويليّ أحياناً ! – بحسب مقتضى المقام مع حال طبيعة كلّ نصٍّ – في رصد تلك العلاقات من حيث توافقها وتآصرها وانسجامها وما توحيه من تراتب التركيب ، ومشابهة فكرة التصوير وتجاوره، وكذا هي الحال مع التضاد و اللا تجانس في اللحظة نفسها، في بوتقة فضاء انتشارها بين خلايا كيمياء

هندستها، مع شفرات تَشكُّل مظهر هيأة تركيب نصّها بتداخلات بُنيته، بصبغة رؤى منشئها المنصهرة والمتجذرة الذائبة في آلية انتقائه أدبية اللغة، وملازماتها الفنّية، إذْ إنّ النصوص المتعالية والاِستثنائية، القرآن العظيم ومنطوق الوحي ومنبع العلم اللدُنيّ مكتنزة بالذي تعالجه الدراسة وتبحثه، جعلت اختيار نثر الإمام الحسين عليه السلام إنموذجاً لقراءة تحليلها ولدراستها، لتكشف ما فيه من قيم جمالية عالية تستحق الوقوف عندها وإظهارها أيضاً، بحكم محاكاته الجمالية مع القرآن العزيز، والأحاديث النبوية وكلمات نهج أبيه البلاغية.

التمهيد:.

جمالية النص النثري(أدوات التعبير النثري الجمالي):

وللتدليل على مدى رسوخ الاعتبار باقتران الشعر والنثر ضمن الشروط الجمالية الواحدة في مدونات النقد والبلاغة الأولية فقد أردف ابن سلام في موضع آخر من كتاب الطبقات بإسباغ التوصيفات الفنية الجمالية التي توحد بين الإبداعين ضمن منظور جمالي فني واحد حين قال واصفا خصوصية شعرية الشاعر الشماخ....."[١]، فكان شديد متون الشعر أشد أسر الكلام من لبيد .... لنرى كيف أنه لاقي بين الشعر والكلام منتظمين ضمن حكم جمالي واحد هو تمكن الشاعر الشماخ من العملية الإبداعية وتسهل ارتحال اللغة الجمالية عليه فلا يجد في مجاذبتها مؤونة تذكر، ولما كان هذا التوصيف الفني الجمالي سائدا معمولا به في مداخلة المواقف التعبيرية البديعة فقد أشفع ابن سلام التوصيف الآنف الذكر بما يعززه ويسنده ويقويه حين قال في توصيف مستويات الابتداع التي يتميز بها شعر لبيد: "... وكان لبيد بن ربيعة شاعرا شجاعا وكان عذب المنطق، رقيق حواشي الكلام فالذات المنشئة التي هي الذات العلمية تتضمن فعلين متناجزين متشاكلين معا على طبيعة ما قال به أبو حيان التوحيدي في صميم هذه الظاهرة الإبداعية العفوية الحرة "... إذا نظر في النظم والنثر على استيعاب أحوالهما، وشرائطها، والاطلاع على هواديهما وتواليهما كان المنظوم فيه نثر من وجه، والمنثور فيه نظم من وجه، ولولا أنهما يستلهمان هذا النعت لما ائتلفا ولا اختلفا"[٢]، وبالتوافق مع هذه القناعة الفنية الجمالة الملائمة بين الشعرية والنثرية الفنية وهو الذي عناه أبو حيان التوحيدي وقصد إليه من التعريف السابق فقد ألفينا العديد من المدونات النقدية الأدبية والمصنفات البلاغية تتسهل في إسباغ المواصفات الوزنية أو التي هي في الحقيقة مميزات بلاغية إيقاعية على ما يفوق حدود الشعر التقصيدي، ونحوا بمفهوم التوزين جهة مواصفات جمالية فنية تلتئم فيها الشعرية مع النثرية الفنية، فقد أورد الجاحظ مساءلة إلى عيسى الرقاشي وقد كان منطيقا بليغا

منشئا للأساليب العربية التوقيعية حين قيل له: لم تؤثر السجع على المنثور، وتلزم نفسك القوافي ، وإقامة الوزن....."[٣].

وكان البلاغيون قد اعتنوا بتبيان مختلف الانسجامات السياقية التي من شأنها أن تمد التعبير النثري الفني بالقيم التوزينية الشبيهة بتلك التي يعتد بها في التوزين الشعري، لذلك فإن سياقات الخطاب النثري في نهج البلاغة نراها تزدان بمقومات التجويد البنائي الذي يستمد من كل مسوغ بنائي مظاهره البنائية وهم أي المنشئين والمتلقين إنما يحيلون في تلقي تلك القيم الجمالية الشبيهة بالوزن بناء على معايير بلاغية مشتركة بين الشعرية والنثرية "فالأديب يتفاعل مع الحياة والكون تفاعلا مباشرا مستمرا إذ يحس ويستلهم بعقله وشعوره و خياله ومزاجه وذوقه جميعا أي بجملة كيانه"[٤]، ولعل أبرز تلك القيم التوزينية معيار الخفة والثقل التي احتكم إليها اللغويون الجماليون العرب من أمثال الجاحظ في البيان والتبيين، وابن جني في الخصائص وسر صناعة الإعراب.

وإذا كانت العبارة مستحلاة التوقيع أجمعوا على ذلك واحتفلوا بجماليتها على شاكلة ما حظيت به عبارة عبد الرحمن بن حسان بن ثابت حين انفعل بالصيغة: لسعني طائر[٥]، وقد كان اعتداد البلاغيين والنقاد بتلك المرجعيات الجمالية التوزينية كافيا لأن يتحسبها المنشئون، ويتحرونها بعدها ثقافة موجهة لعملية الإنشاء اللغوي النثري الفني.

يمثل الإجماع الإبداعي والمعرفي الذي ساد فترة ما بعيد مجيء الإسلام بمثابة المدرسة الفنية الجمالية التي أوحت إلى الخطباء والنثار على العموم أن يلتزموا بتلك المعرفة التوجيهية، حتى أصبحت السمات الفنية الجمالية مطلبا إبداعيا ظل يحضر بفعالية بالغة في مكونات الخطاب النثري الفني ، والتزم الأدباء نثارهم وشعراؤهم بتزيين اللفظ وتحلية العبارة وزخرفة الأسلوب ، وقد تبين أنه كان يتبع الطريقة التزيينية تحقيقا لإبلاغ الغائب وهي طبيعة توصيلية قصوى تنتقل من الإبلاغ الحضوري إلى إعلام الغائب عن المشهد الحضوري، وكذلك بهدف التحفظ، ولتنشيط السماع[٦].

اللافت للانتباه أن الرقاشي من خلال توثيق الجاحظ لانطباعه النقدي الجمالي كان قد استعمل مصطلحا فنيا جماليا كنا سجلنا ظهوره بشكل محوري في نظرية الجاحظ البلاغية هو دلالة مصطلح إقامة الوزن، ومعنى الإقامة هنا هو التوظيف الفني الجمالي المنضوي على غاية إبداعية بعيدة الدلالات حين جعل من الوزن مفهوما بلاغيا عاما شائعا يسري على النشاطين الشعر والنثر الفني معا، يقول امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) في النهج "يقولون فيشبهون ويصفون فيموهون. قد هونوا الطريق، وأضلعوا المضيق، فهم لمة الشيطان،

وحمة النيران"[٧]، حتى كأنه بهذا الانزياح في استعمال هذه الدعامة الفنية الجمالية قصد إلى الإشارة إلى مكانة الوزن والإيقاع من الوظيفة الفنية الجمالية التي تسكن جوهر النزوع اللغوي الفني الجمالي العميق في العبارة الأدبية قال الجاحظ: "..... وأن البيان يحتاج إلى تمييز وسياسة، وإلى ترتيب ورياضة، وإلى تمام الآلة، وإحكام الصنعة، وإلى سهولة المخرج، وجهارة المنطق، وتكميل الحروف، وإقامة الوزن، وأن حاجة المنطق إلى الحلاوة والطلاوة، كحاجته إلى الجزالة والفخامة، وأن ذلك من أكثر ما تستمال به القلوب، وتثنى به الأعناق، وتزين به المعاني....."[٨].

وواضح للذي يستقرئ سياق المقولة النقدية أن ابن سلام أسبغ التوصيفات الفنية الجمالية المرتبطة بقيم العذوبة وترقيق الحواشي على النشاطين اللغويين نشاط التشعير ونشاط التنثير الفني بما لا يدع شكا في أن البدايات البلاغية التي كانت عبارة عن سياقات تقييمية توصيفية كانت تسري قيمها على النثرية والشعرية معا دون تمييز في الكيفيات الشكلية التي صار النقاد يحتكمون إليها لاحقا في نقد كل فن من الفنيين على حدة.

للجاحظ فصل التنبه إلى العدة التي ينبغي للبليغ الاعتداد بها في إصابة الغايات الإبداعية النموذجية، وقد قاده تأمله الفلسفي المشحون بالقناعة الجمالية إلى التفصيل في موضوع التناجز بين مختلف القوى الحسية والانفعالية العاملة على تحصيل التعبير اللغوي الجميل حيث اشترط ".... بأن تكون الغريزة سلما إلى عقل التجربة ..."[٩].

توظيف جماليّة مفردات النص النثري:

١. توظيف المفردة:

تقصد الدراسة بالمفردات، هي الكلمة المفردة أو اللفظة المفردة التي تحتل مركزاً رئيساً مهماً مرموقاً– بفعل اِنتقاء المنشئ واختياره إيّاه – في بِنية كلمات النّص وألفاظها، ويقوم النّص بها، ويحيا بوجودها لا بوجود بديلتها حال تجريب الإستبدال، من الناقد المتأمل المتبصّر من أمر شِعابها، بوصف الكلمة المفردة الناطق الرسميّ الذي تمثّل كلمات النّص وألفاظ بِنيته كلّها، في خلال ما توحيه منه حركة دلالية تتشظى وتترابط فيها العلاقات الناجمة عنها.

لذا فلا يمنع من أن تكون الكلمة المفردة "متخمة بالأحداث الأدبية، وبأن تجسّد داخل الصورة الفكرة المرئية واللامرئية.. بما يمكن أن توحي به من أحداث من جانب، وعلى [أن نخلصها ونجردها] من محتواها اللفظيّ، لتشترك اِشتراكاً فعليّاً فاعلاً في خلق"[١٠]، الكثافة البيانية للمعنى الرئيس الذي يضمه مضمون النّص عَبْر مركز الكلمة المفردة بين كلماته المشكِّلة له، إذاً فتواصلها مع الكلمات الأُخَر وتحاوراتها الكامنة داخل النّص، تمنحه سمة مميزة، فهي تحدّد

الموقف المؤدي إليها وتؤكّده وتعلّقه، كما تستوعب المناسبة التي بمقتضى حالها يخلق النّص، على وفق إرادة المنشئ نفسه، وتمكّنه في نقل الحقيقة المستهدفة للمتلقّي، لأنّ المنشئ يقوم بصناعة خطابه الأدبيّ عن طريق اختيار المعنى الدلاليّ الواعي، وينتقي الأداتين اللفظية والأسلوبية المتكافئتين والمتجاوبتين لذلك، بحسب أصول المعاني المتقابلة التي تعود إليها بشتى العلاقات والمقاصد(١١).

وعلى أساس هذا أكّد البلاغيون على الفصاحة في الكلمة المفردة، وأرجعوا مفهوم البلاغة والفصاحة إلى جوهر اللفظ المفرد في دلالته الوضعية، من حيث بناء أصوات حروفها وعددها ومخارجها وغرابتها وابتذالها في لغة العامّي وجريانها اللغويّ وتعبيرها وغيرها(١٢)، لما كان له الدافع الأكبر للنقد في أن يركّز جلّ همّه في الكلمة، "اِنزياحها وحوافها ودلالتها وجرسها، من دون الاكتفاء بنحوها واستعمالها، وصولاً إلى الصورة، وعَبْر المضيّ من المفردة بذاتها إلى المفردة بما هي لحظة في سياق، أو قطعة من نسيج"(١٣).

حتى أنّ المشتغلين في علم الدلالة وضعوها في باب دراسة (التعيين والتضمين)، إذ ميّزوا بين (الكلمة الموضوع) و(الكلمة المفتاح)، من حيث إنّ كلمة (الموضوع) تتكرّر أكثر من غيرها في أيّ نتاج أدبيّ، وإنّ صاحبة (المفتاح) تختلف بحسب تواترها النسبيّ، أي: التي يتجاوز تواترها المعدَّل المألوف، وتحمل المعنى التضمينيّ، وهنا تظهر مشكلة معقّدة في بابها!، وهي طغيان المعنى التضمينيّ على الكلمة الموضوع، الذي يجثي ظاهرها الحقيقي على دلالتها الفنيّة المجازية، ويجبرها على أداء نشاط دور موضوعاتيّ تضيق به، وفي قِبال هذا تجتمع كلمات مختلفات على معنى تضمينيّ موحّد، فيحضر الموضوع الواضح تغيب الكلمة الموضوع، ومن ثَمّ يصبح المعنى التضمينيّ من ألد أعداء (الكلمة الموضوع) وأقلّ منها (الكلمة المفتاح)، ويصبح هذا الفهم الأسلوبيّ من أشدّ الصعوبات التي تفتك وتتأبى كلّ مسعىً لقيامه(١٤).

ومع ذلك كلّه، نرصد المناهج الحديثة والمعاصرة قد جمعت بين الكلمة(الموضوع) و(المفتاح)، وصارتا أداتين من أدوات تحليل الخطاب، وآلة من آليات دراسته الكاشفة لبؤر علاقاته الداخلية بخاصّة في المعالجات الجمالية في بِنية خطاب النّص، إنّ هذه المعالجات الجمالية والشعرية، استندت إلى مبدأ التكافؤ بنوعيه الموقعيّ (التركيبيّ)، والطبيعيّ (الدلاليّ أو الصّوتيّ) في تحديد الوظيفة الشعرية، ومقصديتها والغاية الجمالية للكلمة المفردة عن طريق محور الاختيار لمجموعة من المكونات المتكافئة بمبدأ المشابهة، واسقاطها على محور التأليف المحدّدة بمبدإِ المجاورة في العلاقات. لأنّ الجمال كلّه يكمن في علاقة اللفظة المفردة بغيرها، مستندة في هذه إلى حُسن الاختيار وجودة التأليف أنفسهما، اللّذَينِ يعتمدان الاقتصاد في اللفظ والتوسع في الدلالة،

والطريقة التي تكوّن بها المفردات المعنى هي وحدها لها التأثير الجماليّ وهي في اللحظة نفسها مصاحبته وملازمته دائماً[١٥].

وتظهر جماليات المفردة، وتتجلّى وتتكشف في إطار طبقات حسِّها الزمنيّ متأثرة بسياق النّص الذاتيّ، وسياقاته الخارجية التي تستدعي في البرهة نفسها اِستلهام الموروث ببُعْده التأريخيّ، وتأثير الحال النفسية المتوافقة والمتبادلة والمتحولة لأقطاب العملية التجاوبية في التلقي التفاعليّ الجدليّ مع ما للبيئة الاجتماعية، من حضور فاعل مشهود في النظر تجاه المستقبل بمستوياته المتنوعة كلها[١٦].

وما يتطلبه الموضوع ومضمون الغرض من تعالق نصّي يحتّمه على المنشئ المبدع شاء أم أبى!، لأنّ للكلمة المفردة أشياء خلابة جميلة تماثلها وتحاكيها، والكلمة ذات جرس التنغيم الوقور الرزن، وثيقة عمقٍ، وهوية تجذّرٍ تحمل معها إلتزاماتها.. وبها تخرج أسرار جمال النصوص الإبداعية، وتتكشف بها كذلك أسرار إعجازها المتعمق بالمتعالية والاِستثنائية، لأنّها تتخذ في تأثيرها الوجدانيّ الكلمة الوسيلة الجمالية، لغايتها في الإفهام والتعبير المباشر بحسب مستوى فاعلية المخاطب[١٧]، إذ توجّه إليه بقصدية خاصّة ودقيقة تختلف اختلاف مجالات المناسبات المتعدّدة لكلّ ظرف نصٍّ ما، فيجعل الكلمات أو الكلمة المفردة محالة إلى مرجع ما وتعيّنه، لا سياق النّص وإنّما تقرّر العلامة مع السياق من خلال الذهن التذكّريّ للمتلقّي، ومن ثَمّ يمكّنه بوضوح أن يّنظر إليه من نقطة خارجة عنه، وبَعده تصبح الظاهرة أو الظواهر مرئية، إذ لم تكن هكذا إلّا عندما استقرّ الواقع في خَلَده وذاكرته، وهذا المظهر له أهمية كبيرة وقصوى بخصوص الموضوع الجماليّ، وعملية قراءته[١٨].

إنّ هذه الظواهر سواء أكانت ثقافة كاملة أم مواقف فكريّة، يمارسها المنشئ بفاعلية جماعية ويمتاحها من الروح الجماعية، عَبْر إدخاله إيّاها في بنى جديدة يكتسب بها دوراً، وفاعلية ودلالات جديدة لا من خلال الخروج في الدلالة السياقية المترسّخة للمكوّن اللغويّ على الألفاظ المفردة أو الكلمات المفردة فحسب، بل يتناولها صيغاً كلّية في تلك الظواهر نفسها أيضاً، ومن ثَمّ يحدث تداخل العوامل الموضوعية وعوالم الذات بسبب حدوث اللفظة المفردة في بِنية النّص، ومنها يندفع المحوران للنمو وتتسع فجوة التوتر بينهما فيهيمن المعنى الثاني بفاعلية السياق، ويطغى الأول بقوة رِدّة فعلٍ حادة تندفع لتغمر اللغة ومشهد العوالم الخارجية والداخلية مع أنّ كلّ لفظةٍ مفردة هي حزمة من المعاني، وتشعّ باتجاهات متنوعة متعاكسة بما تحمل من رؤية تحويلية بالمعنى العميق لها، وهذا ممّا يجعل النّص النثريّ طاقة قادرة على الفيض بالجمالية

والشعرية معاً حين يدخل في بِنية كلّية فيما بينهما مكونات أُخَر للبِنية وعلاقات معينة كلتاهما تسمحان بفيض شعريته وجماليته ضمنها(١٩).

٢. توظيف جمالية المفردات في نثر الإمام الحُسَين (عليه السلام):

إنّ توظيف الكلمة المفردة أو اللفظ الواحد، يقصد به اِختيارها وانتقاؤها في موضوعها المناسب وموطنها المركزيّ اللائق الدقيق، إذ تستقر في مكانها وموقعها الجماليّ الذي تشعّ بوساطته دلالات محتوى المضمون الرئيس أو مضمون المحتوى المستهدف تجاه المتلقّي للنّص، وسعة تأثيرها عليه كلّه، وتأخذ في اللحظة نفسها زمام اعتناق ارتباط المفردات الأُخَر فيه وانسجامها في التوجيه الدلاليّ لمضمونه نفسه، سواء أكانت المفردة اِسماً أم فعلاً وما يدخل في حكمهما التركيبيّ أو متبوعاتهما النحوية، واللسانية أو في أيّة مرتبة من مراتب تركيب البِنية، إذ تصبح هي القطب الذي تدور في فلكه تلك الدلالات نفسها، ومعانيها المرتبطة مع الغرض الأساس في النّص المُنتَج لأجله، ولقد أشارت ألفية ابن مالك إلى معنى هذا المنحى في نظمها الآتي :

وَاحِدُهُ كَلِمَةٌ، وَالقَوْلُ عَمّ وَكَلِمَةٌ بِهَا كَلَامٌ قَدْ يُؤَمّ(٢٠).

وهذه الكلمة الواحدة هي؛ إمّا اسمٌ ، وإمّا فعلٌ ، وإمّا حرفٌ. كما تقدّمت الإشارة فيما سبق آنفاً، ولقد اكتسبت المفردة في نثر الإمام هذه الخصّيصة المميزة وهذا التميز الفريد، بكون منبعها قرآنيّاً، مما غدت نافحة بروح الإنسانية وبنزوع إنسانيٍّ مُوحٍ بما آلت الأمم البشرية إليه، وبما ستمرّ به بعامّة، والأمة الإسلامية بخاصّة، من وقائع مماثلة، وأحداث متشابهة، وتجارب متقاربة، والتأريخ يعيد نفسه لأنّه عَبدٌ لأبناء عصرهِ، ولكن بوجوه مغايرة وأشكال متفاوتة بعض الشيء بفعل عوامل النَّحت!.

لذا نجد أنّ توظيفه وانتقاءه (عليه السلام) للمفردة في نثره، يعطيه حيوية الإنفتاح ومرونة سعته على الأماكن والأزمنة بمرور العصور، أو على العصر الواحد بالتحديد بحسب بُعده في الاستشراف الأُفقيّ والعموديّ للمستقبل من جانب، ويمنحه طابع الخلود في مجالاته كلّها، بوصفه نصّاً خرج ضارباً التقليد الوضعيّ في نزعته التفرّدية، إلى رحاب نزعة المبادئ الإنسانية الإلهية، إذ جعلته خارقاً بنور انفلاق انفتاحه، ظُلَم أعماق ماضيه وحاضره ومستقبله !، بما يحمله من أبعاد جمالية متكاثرة ومختلفة !.

وأهمّ سرّ من أسرار جمالية نثره على وجه العموم، وعلى وجه الخصوص عند كلمته المفردة موضوعة تحليل الدراسة، هو اغترافه وانتهاله من المعين الذي لا ينضب، المعجز معجزة النّبي الأمجد والرسول الأعظم محمّد (صلى الله عليه واله وسلم) القرآن العظيم المجيد، وممّا احتذاه

من بلاغة جده السيّد الأكبر، وأبيه السيّد الأصغر وفصاحتهما، وهما أبلغ من انفلقت البلاغة بنورهما، وشقَّا سبلها وألوانها، ولا ضير فهما أفصح من نطق بالضاد، ولاسيما هما أفصح العرب بيد أنّهما من قريش!.

وإليك نماذج من نصوصه المباركة، قوله في مجلس الوليد بن عتبة عندما طلب منه البيعة ليزيد بعد وفاة معاوية: "إِنَّا أَهْلُ بَيْتِ النُّبُوَّةِ وَمَعْدِنُ الرِّسَالَةِ وَمُخْتَلَفُ المَلَائِكَةِ وَمَحَلِّ الرَّحْمَةِ وَبِنَا فَتَحَ اللهُ وَبِنَا خَتَمَ، وَيَزِيْدُ رَجُلٌ فَاسِقٌ شَارِبُ خَمْرٍ، قَاْتِلُ النَّفْسِ المُحَرَّمَةِ مُعْلِنٌ بِالفِسْقِ، وَمِثْلِي لَاْ يُبَايِعُ لِمِثْلِهِ، وَلَكِنْ نُصْبِحُ وَتُصْبِحُونَ وَنَنْتَظِرُ وَتَنْتَظِرُونَ أَيُّنَا أَحَقُّ بِالخِلَافَةِ وَالبَيْعَةِ"[٢١].

نلحظ الإمامَ موظِّفاً مفردة (مِثْلِي) = (لِمِثْلِهِ)، ولم يقل (مِثْلنا) = (لِمِثْلِهِ)، لأنّه لا يريد أن يصوّر الصراع بين أبناء العمومة من أجل الخلافة، وتنحصر قضيتها بين بني هاشم، وقوم آل أبي سفيان، وإنّما أراد بـ(مِثْلِي) بوصفه الإمام الشرعيّ المفترض الطاعة على الناس كافة من الله تعالى، لذلك نجده سبقها بديباجة تعريفية افتتح بها خطابه، وهي أنّهم (أَهْلُ بَيْتِ النُّبُوَّةِ)، و(مَعْدِنُ الرِّسَالَةِ)، و(مُخْتَلَفُ المَلَائِكَةِ)،و(مَحَلِّ الرَّحْمَةِ)، حتى ختمها بجملته الحاملة تضاد الحصر التأبيديّ التي لا تبديل لها ! وهي (وَبِنَا فَتَحَ اللهُ وَبِنَا خَتَمَ) بدلالة المتعلق المحذوف وهو المفعول به المتضمن معنى العموم والشمول في الفتح والختم في كلّ شيء كان وما يكون إلى يوم المحشر، وبدلالة أنّ زمن حدث الفعل (خَتَمَ) ماضٍ، ولم يأتِ به الإمام فعلاً مضارعاً، لأنّه جسّد فيه قضاء الله فيهم (صلى الله عليه وسلم) من حيث إنّ الله {أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ}[٢٢].

مع تيقّن حتميّة ما كتب بوصفه (خَتَمَ) منذ أن بهم (فَتَحَ) من هنا نلمحه مُقدِّماً بانزياح شبه الجملة (بِنَا) على فعله (فَتَحَ) لأهمية المتقدّم كما هو في دلالته البلاغية، لذلك قال؛ (مِثْلِي)، ولم يقل (غيري) أيضاً، كما قالها في إثبات بنوته من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وإمامته بكونه حجّة الله على خلقه كلّهم في الكون كلّه، عندما خاطب أصحاب ابن زياد في يوم وقعة الطّف؛ "مَا لَكُمْ تَنَاصَرُونَ عَلَيَّ ؟ أَمَا وَاللهِ ! لَئِنْ قَتَلْتُمُوْنِي لَتَقْتُلُنَّ حُجَّةَ اللهِ عَلَيْكُمْ، لَاْ وَاللهِ ! مَا بَيْنَ جَابِلْقَا وَجَابِرْسَا[*] اِبْنُ نَبِيٍّ احْتَجَّ اللهُ بِهِ عَلَيْكُمْ غَيْرِي"[٢٣]، وقوله أمام رعاع جيش يزيد بن معاوية أيضاً، إذ رفع رأسه إلى السماء داعياً : "بِسْمِ اللهِ وَبِاللهِ وَعَلَى مِلَّةِ رَسُوْلِ اللهِ؛ إِلهِي إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقْتُلُونَ رَجُلاً لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ ابْنُ نَبِيٍّ غَيْرُهُ!"[٢٤]، ولم يقل كذلك (شخصي) اللّتانِ تفيدان حصر التخصيص والإستثنائية[٢٥]، لأنّ (مِثْلِي) تمثليّة التابع له، ومن ثَمّ تعطي إمكانية البديل عنه المشرعة أبوابها على المكان والزمان، وعليه فهو مختار (مِثْلِي) لأنّها تشرك مَن دخل في معية حصن إمامته وطاعته، ومَن تمسّك بأمره وسار على نهجه، بأن (لا يبايع) والفعل المضارع يدل على الحاضر والمستقبل اللامحدود، بل المنفتح والمفتوح أمام آفاق الزمكانية (لِمِثْلِ يزيد)، ولم

يقل (ليزيد) وإنما قال :(لِمِثْلِهِ)، إذ إنّ الإمام الحُسَين (عليه السلام) رام استشرافاً متحقّق الأهداف والنتائج عَبْرها ! لكلّ مَن يكون (مثل يزيد) فاعلاً أعماله وأفعاله، حاملاً صفاته التي رسم ملامح تحديدها؛ (رَجُلٌ فَاسِقٌ)، (شَارِبُ خَمْرٍ)، (قَاْتِلُ النَّفْسِ المُحَرَّمَةِ)، (مُعْلِنٌ بِالفِسْقِ)، إذاً الإمام بتوظيفه مفردة (مِثْلِي)، (لِمِثْلِهِ)، قنّن قاعدة أزلية أبدية لجميع الإنسانية !، في قضية إعطاء البيعة لأهلها الشّرعيّين الذين لهم كتب الله إمامة خلقهِ وخلافة كونهِ !!!، وهذا الاصطفاء في جمالية اِختيار توظيفه لهذه المفردة، أخذ قطب أواصر هندسة بِنية النّص بجمالية تضاد التقابل المرتكز عند جماليتها نفسها.

وعلى هذا تبدو جليةً جمالية المفردة (مِثْلِي)=(لِمِثْلِهِ)، بموقعها المنتقى من لدن الإمام، إذ جعلت النّص بآفاقه مفتوحاً على أزمنة عصور بشرية بني آدم كلّها، وحتى قيام السّاعة، يأتي ذلك اليوم والبيعة لإمامة أهل البيت (عليهم السلام) وخلافتهم الإلهية، إذْ الختم بهم!، أمّا إذا سرقت ظلماً جوراً من أهلها، وبُويعَ بها (لِمِثْلِهِ/ يزيد) ومَن مثله حذا حذوه، فتلك طّامةٌ كُبْرى، ومُصيبةٌ ينعى لموت إسلام الله وسُنّة نبيّه بسببها !، وهذا ما صرّح به الإمام الحُسَين بأعلى صوته الحقّ، عندما طلب منه مروان بن الحكم البيعة ليزيد، فقال مسترجعاً: "إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَعَلَى الإِسْلَامِ السَّلَامُ! إِذْ قَدْ بُلِيَتِ الأُمَّةُ بِرَاْعٍ مِثْلِ يَزِيْد!!"[٢٦]، وهذا النّص أكّد جمالية تحقّق اِجتراح استشراف الإمام الحُسَين وإخباره وتوقّعه إلى ما ستؤول إليه (الأُمَّةُ) الإسلامية بخاصّة، والإنسانية بعامّة، إذا ما بُلِيَتْ بحاكمٍ رَاْعٍ (مِثْلِ يَزِيْد) ومَن كمثله أو يمثله، وبقرينة الشروط المتقدّمات التي أخذتها على عاتقها مفردة (مِثْلِي)، و(لِمِثْلِهِ)، و(مِثْلِ يَزِيْد)، في طلاوة جمالية انتقاء توظيفها واختيارها داخل دائرة بِنية نصّ جوابه في رفض البيعة ليزيد .

ومن النماذج في هذه أيضاً، قوله مخاطباً متحدّثاً ولده الإمام من بَعده عليّ بن الحُسَين (عليهم السلام) بظلامته ومقتله، ومخبراً إيّاه مستشرفاً، بأنّ دمه الطاهر لا يسكن إلّا على يدي ثأر الله وابن ثأره، خاتم الإمامة والوصاية (القائم المهديّ المنتظر(عَجَّلَ اللهُ فَرَجَهُ) الذي يختم الله به: "يَا وَلَدِي، يَا عَلِيُّ ! وَاللهِ ! لَاْ يَسْكُنُ دَمَي حَتَّى يَبْعَثَ اللهُ المَهْدِيَّ، فَيَقْتُلَ عَلَى دَمَي مِنَ المُنَافِقِينَ الكَفَرَةِ الفَسَقَةِ سَبْعِينَ أَلْفَاً"[٢٧].

وظّف الإمام الفعل المضارع (يَسْكُنُ) المسبوق بـ(لَاْ) النافية التي منحته ديمومة استمرار فوران دمهِ المطهّر المطالب بثأره !، كما أعطته حركةً محسوسةً ملموسةً شعورياً ووجدانياً ووجوديّاً !، بسعة غضب الدّم المظلوم الثائر، الذي لا يهدأ إلّا بإذن الله تعالى في بعث الإمام الحجّة صاحب الأمر، إذْ يتّبع أوامر الله في قتل مَن سفكوا دم سيّد الشهداء في وقعة الخلود كربلاء!، في ذلك الحين يسكن هادئاً مستقرّاً، و(سكن الدم) من المجاز، يأخذ العرب به تعبيراً عن الحقوق

المسلوبة المسروقة [٢٨]، والحقيقة المدروسة المكبوتة، وعن الطمأنينة الضائعة المفقودة، والاستقرار المُفتَقد نتيجة لعدم أخذ الثأر بغياب المنتظر! المطالب المآخذ والمُرجِع الحقوق إلى أهلها، والمعاقب الظالمين على جرمهم المشهود، لذا نجده (عليه السلام) جاعلاً النّص متَّكئاً على الفعل المضارع (يَسْكُنُ) الذي هو غرضه الرئيس، إذْ يتوقف تحقّقه على يوم الوقت المعلوم الذي يبعث اللهُ الحكيمُ فيه الإمام المهديّ ابن الحسن (عليهم السلام)، فيقتل المنافقين الكفرة الفسقة كما جاء على لسان الإمام الحُسين، ممّا حدا بأفعال النّص التي قام بتوظيفها الإمام أن يأتي بها مضارعةً كلّها، فهي مشتركة حتى في دلالاتها الزمنية، من حيث (يَسْكُنُ)،(يَبْعَث)،(يَقْتُلَ)، وكذا في التوازن الإيقاعيّ الموحّد بوزنه، والمشترك بمكان موقعه التراتبي في التركيب أيضاً، من خلال أنّ الأفعال الثلاثة يجمعها وزن صرفيٌّ واحدٌ بأصل جذر كلِّ فعلٍ منها، هو (يَفْعل)، مع ما تحمل من مضمون ارتباط دلالة (سكن دمه) الشريف، ببعث الله المهديّ، وبهدى الحقّ الذي يأتي به، مع القتل الواقع الناتج من الخطّة الإلهية في جزاء معاقبة المجرمين، ونلحظ أنّ الإمام لم يقرن أحد هذه الأفعال المضارعة الدالة على الحاضر والمستقبل لا بـ(السين)، ولا بـ(سوف) الخاصّتين بقرب المستقبل وبِبُعده، ليؤكّد حتّمية الوقوع والتّحقّق في مبعث الإمام صاحب الزمان (عَجَّلَ اللهُ فَرَجَهُ)، ويقين حدوث تطبيق القتل بظالمي آل محمّدٍ (عليهم السلام)، ومِن ثَمّ يسكن دمه المحمّديّ في وقتها، سواء أقصر الزمن أم طال !، وأثبت هذا في تقابله الرائع ومعادله المبدع ! عندما خصّص الإمام الحسينُ الحجّةَ القائمَ بـ(المَهْدِيّ) في نصّهِ، لأنّه هو الذي يتحقّق على يديه نشر راية الحقّ والهدى، فينقذ به الله العباد، ويعمّر البلاد، ويقتل الظالمين وأهل الفساد، من هنا تظهر جماليته البديعة، خلقها نشاط حركة مفردة الفعل المضارع (يَسْكُنُ).

ومن نصوصه في هذه كذلك، قوله في أصحابه وأهل بيته الذين شهدوا معه وقعة كربلاء: "أُثْنِي عَلَى اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَحْسَنَ الثَّنَاءِ، وَأَحْمَدُهُ عَلَى السَّرَّاْءِ وَالضَّرَّاْءِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْمَدُكَ عَلَى أَنْ أَكْرَمْتَنَا بِالنُّبُوَّةِ، وَعَلَّمْتَنَا القُرآنَ، وَفَقَّهْتَنَا فِي الدِّيْنِ، وَجَعَلْتَ لَنَا أَسْمَاعَاً وَأَبْصَارَاً وَأَفْئِدَةً، وَلَمْ تَجْعَلْنَا مِنَ المُشْرِكِينَ. أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي لَاْ أَعْلَمُ أَصْحَابَاً أَوْلَى وَلَاْ خَيْرَاً مِنْ أَصْحَابِي، وَلَاْ أَهْلَ بَيْتٍ أَبَرَّ وَلَاْ أَوْصَلَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، فَجَزَاكُمُ اللهُ عَنِّي جَمِيْعَاً خَيْرَاً"[٢٩].

نلاحظ أنّ الإمام قد وظّف مفردة الفعل المضارع (لَاْ أَعْلَمُ) المُبتدِئ بـ(لا) النافية ضديّة وجود أصحاب أولى وخير وأوفى غير أصحابه وأهل بيته (عليهم السلام)، ودلالة الفعل تحمل معنىً قاطعاً لمفهوم علم الإمام، يتجاوز الزمكانية الحالية والمقامية، ويتخطّى كذلك علم أفضلية الوجود الماضويّ، وهذا العلم المطلق ذو الأصول اللَّدُنّية والجذور القرآنية في مستوياته ومجالات علومه كلّها، من خلال ما توافرت عليه مقدّمة ثنائه وحمده لله (عليه السلام) من الشروط ومجموعة

القرآئن هيَّأ الإمام بها ذهن المتلقي وخَلَده!، أُولاها؛ إلتفاته بـ(حمده لله) من صيغة الغائب (**أَحْمَدُهُ**) إلى صيغة الحاضر (أَحْمَدُكَ)، المتقدّم عليهما جملة الثناء على الله (أَحْسَنَ الثَّنَاءِ)، الدال الغائية القصوى عنده التي لا يصل إليها أحدٌ بَعْده، إلّا مِنَ المعصومين فَهُم نورٌ واحد!، وكذا هي حال إلتفاته من صيغة الخطاب بضمير المفرد (أُثْنِي)،(أَحْمَدُهُ)، (أَحْمَدُكَ) إلى أسلوب إسناد خطاب الجمع (أَكْرَمْتَنَا)،(عَلَّمْتَنَا)،(فَقَّهْتَنَا)،(جَعَلْتَ لَنَا)،(لَمْ تَجْعَلْنَا) فالمكرم والمعلم والمفقّه والجاعل هو الله العظيم، إذاً الإمام الحسين هو وأهلُ بيتهِ (عليهم السلام) صنع الله الذي أودع وأحصى فيهم أسرار كلِّ شيء خَلَقَه !، وعليه فإنّ توظيفه مفردة الفعل (لَاْ أَعْلَمُ) تحمل دلالة الحصر المطلق بما كان وما يكون إلى ما شاء الله العليم، وهذه الخصّيصة التي ينماز بها أصحابه وأهل بيته، جعلت الإمام مؤكّداً إيّاها بوساطة إلتفاتاته الثلاث، آخرها إلتفاته من الجمع إلى المفرد (أَصْحَابِي)، ولم يقل (أصحابنا)، وورد في أكثر من مناسبة تأكيد مفردة (أَصْحَابِي)،منها حديثه مع أخته الصدّيقة العالمة الفاهمة السيّدة الشريفة الطاهرة زينب ومَا أدراك مَن زينب؟!: "يَاْ أُخْتَاهُ اِعْلَمِي، أَنَّ هَؤُلَاءِ أَصْحَابِي مِنْ عَالَمِ الذَّرِّ، وَبِهِمْ وَعَدَنِي جَدِّي رَسُولُ اللهِ(صلى الله عليه وسلم)"[٣٠]، وكذا قال:(أَهْلِ بَيْتِي)، ولم يقل (أهل بيتنا) أو (أهلنا)، وكذلك قال:(عَنِّي)، ولم يقل (عنّا)، إذ تقدّم عليهما ما يخصّص المورد ويقيّده بهما، ليفيد إطلاق الشمول والعموم الذي لا يحدّه حدٌّ من مكان و زمان وموقف وتضحية ووفاء وفداء في المبادئ كلّها، لإعلاء كلمة (لَاْ إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُوْلُهُ) ولبقاء راية إسلامه الحقّ خفّاقةً شامخةً تناطح السحاب !، وإنّ هذا المتقدّم وهو قوله:(لَاْ أَعْلَمُ أَصْحَابَاً. .وَلَاْ أَهْلَ بَيْتٍ)، إذ لم يأتِ بـ(أَصْحَابَاً) و(أَهْلَ بَيْتٍ) معرّفين بـ(أل)، فلم يقل (الأصحاب)أو(أهل البيت)، لأنّ الإمام أراد بالتنوين إفادة تجاوبه مع إطلاق العموم والشمول ومناسبته له، فإنّه يعضّد الإنمياز الذي تفرّد به أصحابه وأهل بيته، مع احتمالية إدخالنا (أَصْحَابَاً) و(أَهْلَ بَيْتٍ) في مسألة النكرة المخصّصة التي بحثها النحويون، أي: تعطي تخصيصاً للفعل ولدلالته بحسب مقتضى حال الغرض المستهدف في رسالة النّص، ففي قوله (عليه السلام) :(لَاْ أَعْلَمُ) منحت هذه المفردة النّص إنفتاحاً مطلقاً تجاه آفاق المكان والزمان، لتعذّر وجود غيرهم على وجه البسيطة إلى ما شاء الله! {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}[٣١]، وهذا البُعد الدقيق هو الذي جعل الإمام الحُسَين موظّفاً مفردة (لَاْ أَعْلَمُ)، ولم يقل (لا أعرف) لأنّ علم الإمام متجاوز مرحلة المعرفة ومتعدٍ إيّاها، وفي البرهة نفسها أنّ مفردة (لَاْ أَعْلَمُ) تحمل دلالة واسعة وشاسعة قادرة على استيعاب الإطلاق الشامل الذي يعنيه الإمام بها، لا تحملها المعرفة، وهنا يكمن سرّ جمالية توظيفها، وهذه خصّيصة الإنمياز والإمتياز التي خصّصها الإمام بأصحابه وأهل بيته، منبثقة من عظمة ثورته

المقدّسة في سبيل إحياء (السُّنّة) التي أُمِيتتْ على يد أهل الظلم والجور الذين طغوا في البلاد، وعاثوا فيها الفساد، وتعدّوا على حرمة العباد، فأمّا أصحاب الإمام وأهل بيته فبشّرهم بالشهادة، وببلوغ الفتح معه! لعظيم الموقف والوقعة، إذ خاطبهم قائلاً: "..أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ مَنْ أُلْحِقَ [لَحِقَ] بِي مِنْكُمْ اِسْتُشْهِدَ، وَمَنْ تَخَلَّفَ لَمْ يَبْلُغِ الفَتْحَ، وَالسَّلَامُ"(٣٢).

ومن نماذج نصوصه أيضاً، قوله في دفاعه عن الحقّ وإمامته، في مجلس معاوية قبل وفاته، إذْ طلب منه البيعة ليزيد، فرفض الإمام الحُسَين (عليه السلام) أن يبايع وعرّف نفسه لجلسائه جميعهم! بقربه من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حسباً وشرفاً وأباً وتأريخاً قديماً، فقاطعه معاوية وهذه هي عادة المتغطرسين وجبابرة الطغيان! بقوله: لا تصديق لقولك، فردّ عليه الإمام الحُسَين مجيباً؛ "الحَقُّ أَبْلَجُ لَا يَزِيْغُ سَبِيْلُهُ، وَالحَقُّ يَعْرِفُهُ ذَوُو الأَلْبَابِ"(٣٣).

وظّف الإمام مفردة (أَبْلَجُ) في نصّه لوصف الحقّ، إذْ إنّ هذه المفردة وردت مرّة فريدة وحيدة في نثره كلّه، واستبدالها بأُخرى لا تعطي المعنى ودلالته الَّذينِ يقصدهما الإمام قِبال الصورة المرجوة المُستهدَفة التي يحيط بها الكمال في تثبيت حدود المعنى، وتعطيه ملامح معالمه التي تقوي وضوح بصماته الدلالية، ومفردة (أَبْلَجُ) تحمل المعاني ودلالاته التي يجمعها حقل دلاليّ واحد، فالواضح والزاهر والنير والظاهر والمشرق والجليّ والبيّن والنّقيّ(٣٤)، ومفردة (أَبْلَجُ) تمتاز عن سائر المفردات الآنفة، بوصفها تضمّها جميعاً من دون أن يقترن بها شيء أو من دون أن تقترن في اشتقاقها بشيء على خلاف لو استعمل كلّ واحد منها بمفرده، لذا فهي تتجاوب مع المضمون في اكتنازها المعنويّ، وتتناسب إلى السياق في بُعد ثرائها الدلاليّ، وفي تمثيلها تستوعب وصف مكانة الحقّ وأهميته ومركزه، فلإنميازها ولغرابتها في ندرة استعمالها، نجد أنّها عُدّت وبحثت ودرست في كتب غريب الحديث، كغريب ابن قتيبة، وأبي الفرج عبد الرحمن المعروف بابن الجوزيّ، وابن سلّام الهرويّ، وحمد بن محمّد الخطابيّ، وجار الله الزمخشريّ في الفائق في غريب الحديث والأثر، وأنّ العرب يؤتون بمفردة (أَبْلَجُ) مجازاً في غير حقيقتها المعنوية الصريحة، فيقولون : صَبَاحٌ أَبْلَج، وَالحَقُّ أَبْلَج، وَقَدْ أَبْلَج الحَقّ إِبْلَاجَاً، وكذلك قول العجّاج

حَتَّى بَدَتْ أَعْنَاقُ صُبْحٍ أَبْلَجَاْ تَسوْرُ فِي أَعْجَازِ لَيْلٍ أَدْعَجَاْ(٣٥)

ويقال كذلك ؛ ثَلج بِهِ صَدْرِي وَبَلج، بَعْدَمَا حرَّ وَحَرج(٣٦). وعليه فهذا أحد احتمالات قيام الإمام بانتقاء اختيار توظيفها، لأنّه أراد أن يعبّر للإنسانية قاطبة عن الحقّ بأنّه (أَبْلَجُ) وإذا كان كذلك فسبيله لا يزيغ، ولا يغيب عن معرفة أصحاب العقول، كما نلحظ أنّ هذه المفردة أعطت دلالة قرينة واضحة على وجود نسق مضمر، عند المُخاطَب الخصم/ معاوية، حمله الطرف الثاني

المحذوف للتقابل علماً من الإمام أنّ الأشياء تعرف بأضدادها، وتقيّة بمقتضى مراعاة المقام، وهذا التقابل الحامل للنسق المضمر هو(الباطل لَجْلَجٌ) ومعنى دلالة مفردة (لَجْلَجٌ) ؛ مظلم، زائغ، أعوج، مضطرب غير مستقيم، متردد لشدّة الظلمة، ممّا يجعل صاحبه فاقداً عقله ولبّه، جاهلاً الحقّ لا يعرفه !، أمّا الحقّ فأبلج، مثل القمر الزاهر، والشمس في رابعة النهار، كامل متكامل لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، أي؛ أنّ سبيل دربه لا وهم فيه، ولا تخيل يشوبه في رؤيته ومشاهدته معرّفة لأهل العقول كما يعرفون أنفسهم، لأنّ الحقّ لا يعرف بالرجال، بل يعرف الرجال بالحقّ، من هنا نلمح الإمام ساكباً بِنية نصّه بوعاء (البحر الكامل):

الحَقُّ أَبْـلَـجُ لَا يَزِيْغُ سَبِيْلُهُ وَالحَقُّ يَعْرِفُهُ ذَوُو الـأَلْبَابِ

وهذا الجانب زاد من قوّة البُعد الجماليّ، والأدبيّ الذي بنى الإمام بِنية نصّه الكلّية على تنغيم وزنه وإيقاعه الذي جمع أصوات القلقة مع جرس الحلقية فكوّنا وقعاً شديد التأثير والتجاوب مع صدى صوت المدافع عن الحقّ !، تبعاً لموضوعة الغرض الأساس، فجمالية توظيف المفردة (أَبْلَج) وشعريتها جليّة مشرقة رائعة.

ومن النماذج الأُخَر، قوله في خطابه لجيش آل أبي سفيان قبل ساعة من استشهاده، وقد بيّن لهم مستشرفاً مصيرهم المحتوم، وحالهم في أدنى ذلّة و أخسّها تدوّنها بشرية الإنسانية في تأريخها إلى يوم المحشر: "إِيْهٍ ! يَا مُنْتَحِلَةَ دِيْنِ الإِسْلَامِ، وَ يَا أَتْبَاعَ شَرِّ الأَنَامِ، هَذَا آخرُ مَقَامٍ أَقْرَعُ بِهِ أَسْمَاعَكُمْ، وَأَحْتَجُّ بِهِ عَلَيْكُمْ .. زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ بَعْدَ قَتْلِي تَتَنَعَّمُوْنَ فِي دُنْيَاكُمْ، وَتَسْتَظِلُّوْنَ قُصُورَكُمْ، هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ، سَتُحَاطُوْنَ عَنْ قَرِيْبٍ بِمَا تَرْتَعِدُ بِهِ فَرَائِصُكُمْ، وَتَرْتَجِفُ مِنْهُ أَفْئِدَتُكُمْ، حَتَّى لَا يُؤْوِيْكُمْ مَكَانٌ، وَلَا يُظِلُّكُمْ أَمَانٌ، وَحَتَّى تَكُوْنُوا أَذَلَّ مِنْ فِرَامِ الأَمَةِ"[٣٧].

إنّ مفردة (فِرَامِ) الأَمَةِ، الواردة في النّص قد حملت غاية نتيجة الاستشراف الذي أُخبروا به، بعد أن تقدّمت بطاقة تعريفية للتأريخ فيهم، بأنّهم؛(مُنْتَحِلَة دِيْنِ الإِسْلَامِ)، و(أَتْبَاع شَرِّ الأَنَامِ)، وبأنّهم (لا يستمعون القول)، بقرينة سياق تعبير الجملتين اللاحقتين (هَذَا آخرُ مَقَامٍ أَقْرَعُ بِهِ أَسْمَاعَكُمْ، وَأَحْتَجُّ بِهِ عَلَيْكُمْ)، وهم إذا كانوا بهذه الحال! فبتأكيد أنّ (القتل) وما يلازمه من ارتكاب المعاصي والمحارم، يكون كـ(شربةِ ماءٍ)، إذْ وصلت بهم هذه الحال إلى (قتل ابن بنت رسول الله محمّد) وريحانته وسبطه الإمام الحُسَين (عليه السلام)، من أجل رضا (شَرِّ الأَنَامِ) بني أمية وطاعتهم المؤدية إلى النار، على حساب معصية (الله) عَبْرَ شراء الذِّمم بأمور مغريات الدنيا وملذّاتها الفانية الزائلة!، قِبال خُسران الآخرة.

من هنا نلحظ الإمام محشّداً نصّه أفعالاً مضارعة، رفعت على كاهلها علامات وقائع الاستشراف المحتوم وعلاقاته، ومَآل عاقبة جرمهم الشنيع المشؤوم المحكوم، لذا جاءت متدرجة التصريح،

بدءاً بالفعلين المضارعين (تَتَنَعَّمُوْنَ)، في دنياكم وغرورها التي هي من شر الذين يقتلوني!، و(تَسْتَظِلُّوْنَ) قصوركم وما فيها من خدم وحرّاس وحشم وشَرَطة وعسس، ثمَّ أعقبهما بـ(تكرار اسم فعل ماضٍ) هو(هَيْهَاتَ) الذي له دلالات معنى الابتعاد عن دوام استمرار أيّ شيء، أو البُعد عن حصول التنعّم والراحة والطمأنينة والهناء به لهم، ولذلك جاءت الأفعال التي تضمّ عاقبة الذي سيحل بهم، وما يكونون عليه من ذلّة وخوف وشرّ حال، فالفعل (سَتُحَاطُوْنَ) الداخلة عليه (سين) الاستقبال المقيدة بتحديد الزمن بقرينة قول الإمام (عَنْ قَرِيْبٍ) فاجتماع هاتين زاد من صعقة قرع أسماعهم بقُرب خاتمة ما سيمرُّ بهم، وهنا تتجلى جمالية رائعة حقّاً!، ومِن ثَمَّ أتبعه الإمام بفعلين يرسمان صورة أحوالهم الجسدية والنفسية والروحية وملامحها، وهما (تَرْتَعِدُ بِهِ فَرَائِصُكُمْ) و(وَتَرْتَجِفُ مِنْهُ أَفْئِدَتُكُمْ)، وفي هذه الأفعال المضارعة الثلاثة؛ (سَتُحَاطُوْنَ)،(تَرْتَعِد)،(تَرْتَجِفُ)، لم يصرّح الإمام بـ(الفاعل) الذي يقوم بها ويباشرها!، لحكمة أنّه أراد من وراء عدم التصريح به، تصوير الموقف الشديد المهول الذي يقعون فيه من جانب، ولأنّه يروم بيان عظمة الفاعل وقدرته في الوصول إليهم والإحاطة بهم حتّى لو كانوا في بروج مشيّدة ! من جانبٍ آخر، وعلى هذا نشاهد الفعلين المضارعين اللذينِ تليا الأفعال المتقدّمة، قد حملا نتيجة الإحاطة وكيفيّة حالهم، وهذان الفعلان هما؛ الأوّل: (لَاْ يُؤْوِيْكُمْ) مَكَانٌ، أي: لا قصوركم ولا ما فيها من مرافق متنوعة، وباحات شاسعة، وغرف وحجر متعدّدة، ولا أيّ مكانٍ !، وأما الثاني: فهو (لَاْ يُظِلُّكُمْ) أَمَانٌ، أي: لا حرّاس قصوركم ولا شَرَطتها ولا عسسها يدفعون عنكم ذلك، ولا يدافعون في اللحظة نفسها، ولا حتّى الخدم والحشم !، ولا أيّ شيء فيه أَمَانٌ لهم قطُّ!.

ومن دقّة تصوير الإمام موقف حالهم وأحوالهم وتوصيفه إيّاه، قال (مَكَانٌ) و (أَمَانٌ)، ولم يعرفهما بـ(أل)، لأنّه قصد إليهما نكرتين منوّنتين! تفيدان شمول أيّ مكانٍ، وأيّ أمانٍ وعمومهما، بوصف النكرة تتعهّد هذه الإفادة ودلالتها أوّلاً، ولأنّهما علامتان تعضّدان دلالة قوّة الفاعل غير المصرّح به وقدرته وإمكانيته الواسعة، التي وسعت كلَّ شيءٍ، فكيف بالإحاطة بهم؟! ثانياً، وهنا أيضاً جمالية أُخرى شكّل الإمام هندستها ! بالنكرة التي تولّت مَهمّة معالجة حال عاقبتهم جسدياً ونفسياً وروحيا، ومِن ثَمّ يأتي الفعل المضارع الأخير في نصّه الإستشرافيّ، وهذا الفعل هو (تَكُوْنُوا) أَذلَّ مِنْ (فِرَاْمِ الأَمَةِ) الذي ينطوي على نتيجة الغرض الرئيس المستهدف إيصاله من عند الإمام، وهذا الفعل ينضوي كذلك على قرينة حتميّة تحقّق حدث المكان والزمان، ويدل على التمام والاستمرار والدوام لكلّ مَن تسوّل له نفسه العداوة والمحاربة بوجه الإمام الحُسَين(عليه السلام) أو بوجه أحد المعصومين(عليهم السلام) في كلّ مكانٍ وزمانٍ، وفي أزمنة عصور الإنسانية كافة، بدءاً بهؤلاء الَّذينَ أصبحوا (أَذَلَّ) من (فِرَاْمِ) الأَمَةِ!، ومفردة (فِرَاْمِ) هي خرقةٌ تضعها النساء في

أيّام حيضهن، يستعملها العرب كناية عن الَّذينَ يوصمون ويوصفون بأسفل دركات (الذِّلَّة) وأدناها خسةً! حتى صار قولهم : " أذلّ مِن فَرْمِ الأَمَةِ "، بمنزلة المثل السائر[٣٨]، لا يصل إلى مستوى دركتها شيء، ونهايتها ترمى في خانة الزبالة والنفايات بما تحمل من دمٍ فاسد!، و حتى المرأة نفسها تشمئزّ منها ! فكيف إذاً بنفور القوم الآخرين منها؟! وعليه فهذا هو حال مَن حاربوا أو يحاربون الإمام ستكون عاقبتهم أذلّ من (الفِرَام).

من هنا تبدو جمالية أدبية توظيف مفردة (فِرَام) الأَمَةِ في استشراف نصّه، إذْ تظهر من خلال استعارة الإمام إيّاها، مكنّياً بها حال القوم ومن يقومون بإتباعهم فكلاهما من شرّ الأنام، ولم يصرّح مباشرة بتوظيف اسمها (الخرقة) في خطابه لهم، لأنّه أراد مخاطبتهم ومحاورتهم بالخُلُق والأدب اللَّذينِ هو عليهما كليهما من جانب، وأنّه يعلم أنّ الكناية أبلغ في إيصال الفكرة من التصريح، وفي البرهة نفسها أراد تكليمهم بلغتهم ومنظومة ثقافتهم السائدة في بيئتهم آنذاك من جانب ثانٍ، وهذان الجانبان يحقّقان الوقع الأكبر في نفوس القوم، وفي اللحظة نفسها يبرزان صورة انتقاء الجمالية واختيارها، في توظيف أدبية المفردة كاملة !.

ومن نصوص نماذجه في هذه الموضوعة، قوله فيمن تكون عقيدته راسخة اليقين، ثابتة في مبادئ الدِّين، وبمعرفته النّبيّ والوصي وإطاعتهما (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِما وَ آلِهِما وَسَلَّمَ): "مَنْ عَرَفَ حَقَّ أَبَوَيْهِ الأَفْضَلَيْنِ: مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وَأَطَاعَهُمَا حَقَّ الطَّاعَةِ، قِيْلَ لَهُ؛ تَبَحْبَحْ فِي أَيِّ الجِنَانِ شِئْتَ"[٣٩].

إذا دقّقنا النظر وأنعمنا التأمّل في النّص، سنلمح أنّه وظّف مفردة الفعل الأمريّ (تَبَحْبَحْ) نتيجةً وجزاءً لمقدّمة عملين مُهمّين موقعهما موقع القلب من الجسد، إنْ فقده الإنسان مات، وإنْ حافظ عليه ورعاه والتزم به غمره السعادة وجنّة الحياة! ومن أحسن فإنّما يحسن لنفسه، وهذانِ العملان عظيمان هما: الأوّل عمل (مَنْ عَرَفَ حَقَّ أَبَوَيْهِ الأَفْضَلَيْنِ)؛ والثاني عمل مَنْ (أَطَاعَهُمَا حَقَّ الطَّاعَةِ)، ولكي يتبين أكثر وضوحاً، لا بدّ أن نعرف لماذا تقصد الإمام تحديد تعبيره بـ(الأَبَوَيْنِ)؟ ، إنّ الأبوة هنا هي المجازية اللغوية التي بمقتضى التلازم الرّساليّ من حيث التوجيه والنصيحة والهداية والموعظة والشفقة والحضّ على الخُلُق الكريم وكفالة الأيتام في أمته وقضاء دينهم[٤٠]، وتقويم أودهم وإنقاذهم من عذاب النّار وتوفير مستلزمات العيش والإستقرار في الأمور كلّها، والأصعدة كافة، بوصف الرّسول وأهل بيتهِ (عليهم السلام) الذين أرسلهم اللهُ {رَحْمَةً لِلْعَالَمِيْنَ}[٤١]، ومن حيث إنّ النّبي هو (خاتم الأنبياء والمرسلين)، والإمام عليّ هو (نفسه ووصيّه والإمام من بعده)، لقول الله تعالى في هذا الشأن:**{وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ}**[٤٢]، بمناسبة يوم مباهلة نصارى نجران، ولقول النّبيّ الأعظم للإمام عليٍّ: ("أَنَاْ وَأَنْتَ أَبَوَا هَذِهِ الأُمَّةِ")[٤٣]،

وقوله كذلك: ("كُلُّ سَبَبٍ وَنَسَبٍ مُنْقَطِعٌ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَّا سَبَبِي وَنَسَبِي")[٤٤]،

وقوله: ("إِنَّ اللهَ جَعَلَ ذُرِّيَّةَ كُلِّ نَبِيٍّ فِي صلْبِهِ، وَإِنَّ اللهَ جَعَلَ ذُرِّيَّتِي فِي صلْبِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ")[٤٥]،

وقوله في حجّة الوداع، في الموضع المشهور بغدير خم:("مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَآلِ مَنْ والاه، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ") [٤٦]،

وقوله في مكانتهم وخصوصيتهم على البشريّة قاطبة:("نَحْنُ أَهْلُ البَيْتِ لَا يُقَاسُ بِنَا أَحَدٌ")[٤٧]، وغيرها من الأحاديث النبوية الشريفة التي تثبت أفضلية الإمام عليّ (عليه السلام) وأحقّيته، إذاً للمكانة السامية، والدرجة الرفيعة، والمقام العالي لهما عند الله، وما قدّماه من فضائل عظيمة إلى الإنسانية على العموم، وإلى أُمّة الإسلام على الخصوص، أعطاهما الله هذه المنزلة العظيمة والأبوّة الكبيرة، فمَن أطاعهما بمعرفةٍ ودرايةٍ لحقّهما، حقّ الطاعة بوصف طاعتهما أوجب حتى من طاعة الوالدين النسبيّين، لأنّ النبي محمّد والإمام عليّ فضلهما وطاعتهما مترتّبان مستمران على الأجيال كلّها !، إلى ما شاء اللهُ من حيث إنّ فضلهما وطاعتهما لا يقاس بهما أحدٌ أبداً، فإذا لأبوّتهما على الأمة الإسلامية والإنسانية هذا الشأن العظيم، فجزاء طاعتهما إذا الفوز بحرية تبحبح الإختيار بين الجنان والتنقل في رياضها الخُلد ونعيمها، لكلّ من يمشي ويسير على نهج صراطهما المستقيم !.

من هنا نتأمّل الإمام الحُسَين (عليه السلام)، مُوظِّفاً مفردة الفعل الأمريّ التكريميّ (تَبَحْبَحْ) إذْ أراد بها إعطاء حقّ مَن يستحقّ الجزاء، الذي يكون مناسباً وعظيماً قِبَال مكانة (الأَبَوَيْنِ الأَفْضَلَيْنِ) جائزةً لحقِّ طاعتهما وقدرهما وعظمتهما، فجاء بمفردة فعل التشريف والتكريم الأمريّ (تَبَحْبَحْ) ببنيته الصوتية التي هيمن عليها الفتح مع السكون المناسبان والمتجاوبان لدلالة معنى الغرض المركزيّ مع سياق النّص، في إفادة معانٍ جليلة وعظيمة الشأن في فعلية التفويض والتمكين والإختيار في سعة حريته وطلاقتها، واتساع خيرته من الحلول والمقام أو تخيره فيهما [٤٨]، وما يصاحبه ويلازمه من راحة بال وطمأنينة نفس وحال روح!، من خلال مشيئته الممنوحة له في التبحبح بين الجِنان، فالإمام لم يقل؛ (تبحبح في الجنّة)، وإنما قال: (تَبَحْبَحْ فِي أَيِّ الجِنَانِ شِئْتَ)، لأنّ الإفراد في سياق التعبير وصياغته، لا يعرب عن مناسبة الجزاء العظيم للتبحبح، كما تعطيه صيغة الجمع له بـ(الجِنَانِ)، إذْ إنّها تناسب مقام التعظيم وحلول التشريف والتكريم في المشيئة والتوسع والتنقل، لمَن يطيع الله وأبويه الأفضلين مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِما وَآلِهِما وَسَلَّمَ)، وما هذا تفويض الإختيار والثواب الأوفى والتكريم إلّا مِنَ الله الكريم أكرم الأكرمينَ، الذي أمر بطاعة الأبوين الأفضلين، وعليه فجمالية توظيف الإمام لهذه المفردة هو موقعها التركيبيّ،

ومنبعها الدلاليّ، وتحركها السياقي، وبناؤها الصوتيّ، إذْ لا تسدّ أيّة مفردة أخرى! المعاني والدلالات في بيان عظمة معرفة النّبي ووصيّه وإطاعتهما ومكانتهما ومنزلتهما عند الله، التي أراد الإمام إظهارها وتأكيدها وتصويرها وتوصيفها وتبيانها في نصّه المبارك غيرها وبديلتها وسواها.

ومن نماذج نصوصه، قوله في علامات العلم والجهل: "مِنْ دَلَائِلِ عَلَامَاتِ القَبُوْلِ: الجُلُوْسُ إِلَى أَهْلِ العُقُوْلِ، وَمِنْ عَلَامَاتِ أَسْبَابِ الجَهْلِ المُمَارَاةُ لِغَيْرِ أَهْلِ الفِكْرِ، وَمِنْ دَلَائِلِ العَالِمِ انْتِقَادُهُ لِحَدِيْثِهِ وَعِلْمُهُ بِحَقَائِقِ فُنُوْنِ النَّظَرِ"[٤٩].

نلمح الإمام (عليه السلام) قد وظّف ثلاث مفردات في هذا النّص، وهي الآتي: الأولى؛ مفردة (الجُلُوْس)، إذْ وظّفها في موضع الحصر بين (القَبُوْلِ)، و(أَهْلِ العُقُوْلِ).

فالجلوس إلى أهل العقل، هو نقطة تكامل المعادلة وحلقة الوصل إلى تحقّق المطلب منها، أَلَا وهو (القبول)، ولا يتحقّق المطلب إلَّا بحسب ما وضعه الإمام من قاعدة المعادلة المحسوبة، والمجترحة من النُّظُم القُرآنية، منها هذه القاعدة عند قوله تعالى:**{إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ}**[٥٠]، إذْ إنّ الأداة (إنَّمَا) أفادت حصر التّقبل بـ(الْمُتَّقِينَ)، وتوسط (الجلوس) أفاد حصر (القبول) بالجلوس إلى (أهل العقول)، والمعادلة هي الآتية:

الجُلُوْسُ + أَهْلِ العُقُوْلِ = القَبُوْلِ .

التَّقْوَى + العَمَل = القَبُوْلِ .

وعلى هذا فإنّ توظيف (الجُلُوس) في النّص يشكّل مركز توازن المعادلة وقطب صحّة نتائجها.

فالجلوس إذاً هو نقطة مركز استمرار خط المعادلة المستقيم، الذي به تتحقّق استقامة نتائج قائمها، ومن يروم تطبيقها، من هنا نلحظ أنّ (القبول) و(الجلوس) و(أهل العقول) كلّها تقع في خطٍّ مستقيمٍ واحد على وفق المعادلة، كما تبيّن في الرسمين السابقين، وهنا تتجلى دقّة توظيف الإمام مفردة الجلوس ، فهو لم يوظّف مفردة (القعود)، لأنّ الجلوس أعمّ منه، ويناسب مقتضى الحال والمقام معاً، ويمكن أن يدخل القعود في دائرة معيتهِ هنا، لأنّهما يستعملان بمعنى الكون والحصول، فيكونان بمعنىً واحدٍ [٥١]، وإن كان القعود يدل على حال من أحوال الجلوس، بوصف عموميته وشموليته من حيث المعاني والأحوال ودلالاتها ، فضلاً على مصدريته الصرفية الظرفية، لذلك فالإمام لم يوظّف حتى أيّ مشتق واشتقاق من مشتقاته أو اشتقاقاته، كأن يقول؛ (مجالسة)، أو(جلسة)، أو(جِلاس)، ونحوها.

أمّا المفردة الثانية: فهي (المُمَارَاةُ)، التي وقعت موقع الحصر كسابقتها أيضاً، بين (أَسْبَابِ الجَهْلِ) و(لِغَيْرِ أَهْلِ الفِكْرِ)، و هنا تتبلور معادلة ثانية يعرف بها (الجَهْل) عند المناظر، وكالآتية:

المُمَارَاةُ + لِغَيْرِ أَهْلِ الفِكْرِ = الجَهْلِ .

وبهذا تكون مفردة (المُمَارَاة) مختصّةً بالرجل الذي يستخرج من مخاطبه ومناظره كلاماً ومعاني الخصومة، والإمتراء في الأمر، أو في الشيء يعني الشَّك والتكذيب فيه، وكذا التماري والمراء والجدل[٥٢]، مع أنّنا نلمح الإمام موظّفاً في قوله (المُمَارَاة) ولم يقل؛ (الجدال) مع أنّه يدخل في الممارة في جانبه السّلبيّ والإيجابي معاً، بحسب بعض قرائنه السياقية المشروطة بخصوصية جدال الجمع من الكثرة المعينة على غلبة الإستعمال المشهور عند العرب، وبما يتعلق بالجدال الحسن، إذْ جاء في التنزيل، قوله تعالى: **{ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}**[٥٣]، وحتى في آيات إرشادات الحجّ، نحو قوله الكريم: {فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ}[٥٤]، في حين نجد أفعال (المماراة) إمترى فيه، وتمارى من الأفعال التي تختص بخطاب المفرد، وتكون للواحد [٥٥]، ومن الشواهد القرآنية قول الله العظيم: {فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا}[٥٦]، وكذا قوله المجيد: {فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى}[٥٧]، ومعنى تتمارى، أي: تكذّب. من هنا تكمن جمالية توظيف الإمام لمفردة (المماراة)، لأنّها تتجاوب علائقيّاً مع حال جهل الرجل الواحد المقصود بها في خلال نصّه المبارك.

وإذا جئنا إلى المفردة الثالثة: التي قام بتوظيفها هي (انْتِقَادُهُ) التي حصرها بين (العَالِمِ)، و(لِحَدِيْثِهِ) ، إذْ جسّدت قاعدة معادلة رصينة من قواعد دلائل معرفة العَالِم، وهي الآتية:

انْتِقَادُهُ + لِحَدِيْثِهِ = العَالِمِ .

فإنّه لم يقل؛ (نقده) لحديثه، وإنّما أراد (الانتقاد) مع أنّ معاني مفردة (النقد)، و(الانتقاد) واحدة، فيما عدا التخصّص العمليّ لـ(الانتقاد)، بحسب تعلقها بـ(الخُلق وسلوكياته وتوابعه وصفاته، وتقويم عيوبه) مع بقاء عمل (النقد) فيها بمعانيه المعجمية، الدالة على التمييز والضرب والأخذ والخيرة والقبض واللقط وإخراج الزيف من الشيء، والعطاء.. إلخ[٥٨].

إلّا أنّ التوظيف السياقيّ والموقع التركيبيّ، هما اللّذانِ يحدّدان خصوصية استعمال إحدى المفردتين عن الأخرى، فضلاً عن الفرق في عدد أصوات الأحرف بينهما، فإنّه "إذا كانت الألفاظ أدلة المعاني ثمّ زِيدَ فيها شيء أوجبت له زيادة المعنى له.. كان ذلك دليلاً على حادثٍ متجدّدٍ له"[٥٩]، لذا فالفرق واضح عند الناظر المتفحص إلى وزن (نقد/ فَعَلَ)، وإلى وزن (انتقاد/ افتعال)، والافتعال مصدر الفعل (نَقَدَ) وهو كذلك (النَّقْد)، وإذا كانت زيادة المبنى تؤول إلى زيادة في المعنى، فنحن عندما نمحص التأمل في قوله: (انْتِقَادُهُ) أي: اِختياره؛ اِنتقاؤه؛ اِصطفاؤه؛

اِتّخاذه؛ اِلتقاطه، فهي تختلف عما جاءت من المعاني في غير هذا الوزن عند معانيها المعجمية العامّة.

وعليه فالإمام صوّر حال (الاِنتقاد) وطبيعته ومظهره عَبْر الزيادة في عدد الأصوات أولاً، وجسّد بالزيادة كثرة انتقاد العالِم لحديثه، مع ملازمة سلوكه في أثنائه وخُلُقه ثانياً، وتبعاً لهذا تكون للزيادة إفادتان؛ الأولى: وظيفة لفظية للمفردة نفسها، والثانية: عمليّة يباشرها العالِم صاحب الانتقاد لحديثه مع ما يصاحبه من تقويم لعيوبه. وعلى هذا فإنّ مفردة الانتقاد يكون لها انمياز عن سواها، إذْ إنّ صاحب (الانتقاد) يديم النظر ويطيل التفكّر ويكثر المراجعة لحديثه بصمتٍ واختلاس وبفطنة وذكاء!، وما إن تتحقّق له هذه الدربة في تقبّل (الانتقاد) على نفسه(الذات) وهي نعمة عظيمة، سيكون في اللحظة نفسها مستعدّاً لتقبّل انتقاد الآخر له، نفسيّاً ووجدانياً وفكريّاً وروحياً، وأكّد هذا المعنى الإمام جعفر بن محمّد الصّادق (عليهم السلام)، بقوله: "أَحَبُّ إِخْوَانِي إِلَيَّ مَنْ أَهْدَى إِلَيَّ عُيُوْبِي"[٦٠]، فعدّ الإشارة إلى العيوب من أخيه بمثابة الهدية المقدّمة إليه، لأنّها تقلّلها وتعدّها. إذاً العالِم هو من يقلّب حديثه ويفتّشه ويتفكّر فيه قبل أن يلفظه، وينطق به، ويخرج من فيه، من دون تسرّع وعجالة الفاقدينِ التّأمل والتّدقيق والمراجعة والتّمحيص والرّوية، ومِن ثَمَّ أن يكون بصيراً بعلم (حقائق فُنون النَّظر)، وهذه الجملة زادت العالِم مسؤوليةً من خلال اشتراطها العلم بـ(حقائق فنون النظر)، وهنا تتجلى جمالية توظيفه لمفردة (الاِنتقاد) وأدبيتها واضحة بيّنة ظاهرة من خلال علاقاتها مع النّص، بفعل مجيء الإمام بها.

الخاتمة ونتائج البحث :.

توصلت الدراسة في أثناء إنهاء فصل موضوعة الجمالية وبنية النص إلى أنّه لم يكن للجمالية تعريف جامع مانع ثابت وإنّما إنّ لكل ناقد وباحث تعريفاً مستوحى من زاوية نظرة خبرته التجريبية تجاه جمالية كلّ نصّ أو نماذج نصوص حام في سماء تحليلها،

١ ـ إن السياق اللفظي متحقق في جماليته ببعدها الخفي المتوقف اكتشاف كنه سرّها القيمي على التأمل الدقيق في مجموع ألفاظ تركيب البنية الكلية العام، بأنواعه الواردة في فصله الخاص به، سواء أكان المفرد والإفرادي منه أم الجمعي والجماعة، أو المتوالي المتعاقب فيما بينهما، إذ يجسد ويشكّل في الآن الواحد التماسك الدلالي العميق بين مظهر النّص الجمالي وبنياته الصغرى والكبرى التي تحملها بنيته الكلية، مع ما يعطيه من توازن إيقاعه السياقي الذي يعكس ويعرب عن التوافق النصي في البنية الكلية أيضاً، المتأثرة بحسب المرافقة والمصاحبة والملازمة لتشظيات الحال النفسية وتراتباتها المجاورة لها، مع هذا كله يقوم بدوره مصرحاً عن دلالة ،الغرض، ومطابقاً للمعنى المركزي الذي يجترحه المضمون العام للنصّ كله أيضاً.

٢- رصدت الدراسة العلاقات التي تنفلق في خلال التفاعل الجدلي الذي يبدأ حركاته الذاهبة والراجعة داخل بنية النص التي تسببها (الكلمة المفردة) بفعل توظيفها إذ احتلت مركزاً قطبيا تدور في قطر فلكها مفردات بنية النّص الأُخر، وتحوم مجمدة بعداً تجاذبياً متبادلاً، تمسك زمام عنانه هي نفسها (الكلمة المفردة)، فتكون الأواصر بين المتبادلين في البنية الموحدة قائمة على مبدأ حلقي الدوران، بتأثر الكل التابع إلى بؤرة المركز النابع فيضاً من ذبذباته الحلقية الممغنطة اندماغاً دلالياً، يفيد تعضيد السياق الهادف لبلورة محتوى الغرض الذي من أجله وظفت تلك المفردة من هنا يكون منطلق جماليتها .

الهوامش

(١) ابن سلام الجمحي، طبقات الشعراء، ٢٩.

(٢) أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ١٣٥/٢.

(٣) الجاحظ، البيان والتبيين: ٢٨٧/١.

(٤) خورج جرداق على و سقراط، الإمام على صوت العدالة الإنسانية، المجلد٣، ١٩٦.

(٥) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، ١٦٧.

(٦) المصدر نفسه، ٢٨٧/١.

(٧) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مراجعة وتحقيق الشيخ حسن تميم القاضي الشرعي، المجلد٣، ٤٨٢.

(٨) الجاحظ، البيان والتبيين، ١٤/١.

(٩) الجاحظ، البيان والتبيين، ١٤/٢.

(١٠) إيقاع الكلمة في جماليات اللغة : بيجي يتوبليتز (بحث): ٣٣ ، وينظر: علم الأسلوب وصلته بعلم اللغة (بحث): ٤٨ .

(١١) ينظر: علم الأسلوب وصلته بعلم اللغة(بحث): ٤٠، و ينظر: تقابلات النّص وبلاغة الخطاب: محمّد بازي.

(١٢) ينظر : في جمالية الكلمة : ٣٠- ٣٦ ، وينظر: أصول النقد الأدبيّ :٢٦٣ وما بعدها .

(١٣) فتنة السرد والنقد: ١٢٧ ، وينظر: شعرية الخطاب السرديّ : محمّد عزام: ٦، وينظر: جماليات مسرح تشخوف : صبري حافظ (بحث): ٧٩ .

(١٤) ينظر: إشكالية المصطلح : ١٩٧ وما بعدها، وينظر: جماليات القصيدة المعاصرة : ٢٥٨ وما بعدها.

(١٥) ينظر: اتجاهات الشعرية الحديثة : ٤٤١، وينظر: الأسس الجمالية في النقد العربيّ :١٩٨ وما بعدها، وينظر : النقد والإعجاز : ١٢٣، وينظر: مفاهيم نقدية : ٦١ .

(١٦) ينظر: شعرية الكتابة والجسد: ٩٥-١٠٦ ، وينظر : البلاغة والنقد: ٣٣٨، و ينظر : جماليات المفردة القرآنية: أحمد ياسوف : ٢٩ .

(١٧) ينظر: جماليات المكان: ١١١- ١١٣ ، و ينظر: جماليات المفردة القرآنية : ٢٥ .

[١٨] ينظر: فعل القراءة نظرية جمالية التجاوب: ٦٧ ، و ينظر: جماليات المكان في العرض المسرحيّ : كريم رشيد(بحث): ٧٧ .

[١٩] ينظر: في الشعرية : ٢٥– ٦٨ وما بعدها .

[٢٠] شرح ابن عقيل : ١/ ٩ .

[٢١] موسوعة كلماته : ١/ ٣٤٤ .

[٢٢] الأنعام : ١٢٤ .

[*] جابلقا، جابلسا؛ هُمَا قَرْيَتَانِ إِحْدَاهُمَا بِالْمَغْرِبِ وَالْأُخْرَى بِالْمَشْرِقِ، ينظر: المغرب في ترتيب المعرب: أبو الفتح ناصر الدين المطرّز : ٣٠٩ .

[٢٣] موسوعته نفسها: ١/٥١٥ .

[٢٤] موسوعة كلماته : ١/ ٦٠٤ وما بعدها .

[٢٥] ينظر: المعجم الوافي في النحو العربيّ : د. علي توفيق وزميله : ٢١٣ .

[٢٦] موسوعة كلماته : ١/ ٣٤٦ .

[٢٧] المصدر نفسه: ١/ ٤٤٩ .

[٢٨] ينظر: أساس البلاغة : ١/ ٤٦٧ .

[٢٩] موسوعة كلماته : ١/ ٤٧٨ .

[٣٠] موسوعة كلماته : ١/ ٤٩٦ .

[٣١] البقرة : ١١٧ .

[٣٢] موسوعة كلماته : ١/٣٦١ .

[٣٣] موسوعة كلماته : ١/٢٩٧ .

[٣٤] ينظر: لسان العرب : مادة (بلج) .

[٣٥] ينسب في المعجمات كلّها بلا استثناء! مادة(بلج) إلى العجّاج، ولا وجود له في ديوانه!، ينظر: ب الجيم:٣٩٣.

[٣٦] ينظر : أساس البلاغة : ١/ ٧٤ ،وينظر :غريب الحديث : ابن قتيبة : ٤٦٣–٤٧٠ ،وينظر : اللسان : المادة السابقة نفسها.

[٣٧] موسوعة كلماته : ١/ ٥٩٩ وما بعدها .

[٣٨] ينظر: أساس البلاغة : ٢/ ٢١ ، وينظر : لسان العرب : مادة (فرم) .

[٣٩] موسوعة كلماته : ٢/ ٧٠٤ وما بعدها .

[٤٠] ينظر : تفسير روح المعاني : الآلوسيّ : ٢٢/ ٣٠ وما بعدها .

[٤١] الأنبياء : ١٠٧ .

[٤٢] آل عمران : ٦١ .

[٤٣] عيون أخبار الرّضا : الصّدوق(ت٣٨١هـ) : ٢/ ٤٠٢ ، وروح المعاني : ٢/ ٣١–٣٢.

[٤٤] السنن الكبرى : للبيهقيّ : ٣/ ٣٩٦ ، وذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى : محبّ الدِين الطبريّ : ٤٨ .

(٤٥) كنز العمال : الهنديّ(ت٩٧٥هـ): ٨٩٠/١١ ، ومعجم الأحاديث الكبير : سليمان بن أحمد الطبرانيّ : ٣/ ٤٣ ، وذخائر العقبى : ٧٧ .

(٤٦) مسند أحمد بن حنبل : ٥/ ٣٤٧-٣٦٦ ، والسنن الكبرى : للنسائيّ : ٥/ ١٣٢ ، وكنز العمال : ١/ ٣٣٣ .

(٤٧) الجامع الكبير : للسيوطيّ : ١/ ٢٤٥٠ ، والتبصرة : لابن الجوزيّ : ١/ ٤٠٧ ، وذخائر العقبى : ٢٧ .

(٤٨) ينظر : لسان العرب : مادة (بحبح) .

(٤٩) موسوعة كلماته : ٢/ ٨٨٧ .

(٥٠) المائدة : ٢٧ .

(٥١) ينظر: المصباح المنير : الفيوميّ : ٥٩ .

(٥٢) ينظر: لسان العرب : مادة (مرا) .

(٥٣) النحل : ١٢٥ .

(٥٤) البقرة : ١٩٧ .

(٥٥) ينظر : لسان العرب : مادة (مرا) .

(٥٦) الكهف : ٢٢ .

(٥٧) النجم : ٥٥ .

(٥٨) ينظر : لسان العرب : مادة (نقد) .

(٥٩) الخصائص : ٣/ ٢٦٨ .

(٦٠) تحف العقول عن آلِ الرسول : أبو محمّد بن شعبة الحرّانيّ : ٢٦٨ .

المصادر والمراجع :.

١ – طبقات فحول الشعراء / ابن سلام الجمحي / ١٣٩ هـ شرح محمود محمد شاكر / مطبعة المدني /١٩٨٠

٢– شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، مراجعة وتحقيق الشيخ حسن تميم القاضي الشرعي، المجلد٣، بيروت ١٩٨٧.

٣– الامتاع والمؤانسة / ابو حيان التوحيدي / بيروت صيدا/ المطبعة العصرية / ٢٠١١

٤– البيان والتبيين / ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ج الاول تحقيق وشرح / عبد السلام محمد هارون / الناشر مكتبة الخانجي القاهرة / ١٩٦٦.

٥– الامام علي عليه السلام صوت العدالة الانسانية / جورج جورداق / الجزء ٣ / الاندلس بيروت لبنان / ١٩٥٦.

٦– اسرار البلاغة في علم البيان / عبد القاهر الجرجاني / تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي /دار الكتب العالمية /بيروت /١٩٧١.

٧ – شرح نهج البلاغة / لابن ابي الحديد المعتزلي / عجمي احمد فاضل / الطبعة الاولى /كربلاء مؤسسة علوم نهج البلاغة /٢٠١٦.

٨ – تقابلات النص وعلم الخطاب / محمد بازي / الطبعة الاولى الدار العربية للعلوم ناشرون بيروت لبنان ٢٠١٠ .
٩– اصول النقد الادبي / احمد الشايب / مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٩٤.
١٠ – في جمالية الكلمة /الدكتور حسين جمعة / منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق ٢٠٠٢.
١١– فتنة السرد والنقد/ نبيل سليمان / دار الحوار للنشر والتوزيع / دمشق ١٩٩٤.
١٢ – اشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد / يوسف وغليسي / الدار العربية للعلوم ناشرون / بيروت / ٢٠٠٨.
١٣– شعرية الخطاب السرديّ : محمّد عزام / منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق ٢٠٠٥.
١٤– اتجاهات الشعر العربي المعاصر / د احسان عباس / دار الشروق للنشر والتوزيع ٢٠١٨.
١٥– البلاغة والنقد / المملكة العربية السعودية / وزارة التربية التطوير التربوي / ٢٠٠٨ .
١٦– النقد والاعجاز / محمد تحريشي / منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق ٢٠٠٤.
١٧– جماليات المفردة القرآنية/ احمد ياسوف / دار المكتبي /دمشق ١٩٩٩.
١٨ – المعجم الوافي في النحو العربيّ : د. علي توفيق وزميله : ٢١٣ .
١٩– المعجم الوافي في أدوات النحو العربي علي توفيق الحمد دار الأمل للنشر والتوزيع. ١٩٨٨.
٢٠– شرح ابن عقيل ج ٢
٢١– – تحف العقول عن آلِ الرسول : أبو محمّد بن شعبة الحرّانيّ :مؤسسة الاعلى / بيروت لبنان ٢٠١٢.
٢٢ أساس البلاغة : الزمخشري / دار الكتب العالمية بيروت /١٩٨٦

Sources and References:

1.Tabaqat Fuhuul Al-Shu'ara' / Ibn Salam Al-Jumahi / 139 AH, explained by Mahmoud Muhammad Shaker / Al-Madani Press / 1980
2.Sharh Nahj Al-Balagha / Ibn Abi Al-Hadid, reviewed and verified by Sheikh Hassan Tamim, the Shari'a judge, Volume 3, Beirut 1987
3.Al-Imta' wa Al-Mu'anasa / Abu Hayyan Al-Tawhidi / Beirut Sidon / Al-Asriya Press / 2011
4.Al-Bayan wa Al-Tabyeen / Abu Uthman Amr ibn Bahr Al-Jahiz, Volume 1, edited and explained by Abdul Salam Muhammad Harun / Publisher: Al-Khanji Library, Cairo / 1966
5.Imam Ali, peace be upon him, the voice of human justice / George Jordac / Part 3 / Andalusia, Beirut, Lebanon / 1956
6. –Explanation of Nahj al-Balagha / by Ibn Abi al-Hadid al-Mu'tazili / Ajami Ahmad Fadel / First Edition / Karbala, Nahj al-Balagha Sciences Foundation / 2016.
7.Textual Contrasts and Rhetoric / Muhammad Baazi / First Edition, Arab House for Sciences Publishers, Beirut, Lebanon, 2010.
8.Principles of Literary Criticism / Ahmed Al-Shaib / Egyptian Renaissance Library, Cairo, 1994.
9. -On the Aesthetics of the Word / Dr. Hussein Juma / Arab Writers Union Publications, Damascus, 2002.
10. -The Temptation of Narrative and Criticism / Nabil Suleiman / Dar Al-Hiwar for Publishing and Distribution / Damascus, 1994.

11. -The Problem of Terminology in the New Arab Critical Discourse / Youssef Waglisi / Arab Scientific Publishers / Beirut / 2008.
12. -The Poetics of Narrative Discourse: Muhammad Azzam / Arab Writers Union Publications, Damascus, 2005.
13. -Trends in Contemporary Arabic Poetry / Dr. Ihsan Abbas / Dar Al-Shorouk for Publishing and Distribution, 2018.
14. -Rhetoric and Criticism / Kingdom of Saudi Arabia / Ministry of Education, Educational Development / 2008.
15. -Criticism and Miracles / Muhammad Tahrishi / Arab Writers Union Publications, Damascus, 2004.
16. -The Aesthetics of the Qur'anic Word / Ahmad Yasouf / Dar Al-Maktabi / Damascus, 1999.
17. -The Comprehensive Dictionary of Arabic Grammar: Dr. Ali Tawfiq and his colleague: 213.
18. -The Comprehensive Dictionary of Arabic Grammar Tools: Ali Tawfiq Al-Hamad, Dar Al-Amal for Publishing and Distribution, 1988.
19. -Ibn Aqil's Commentary, Vol. 2
20. -٢Tuhaf Al-Uqul 'an Aal Al-Rasul: Abu Muhammad ibn Shu'bah Al-Harrani: Al-A'la Foundation, Beirut, Lebanon, 2012.
21. -The Basis of Rhetoric: Al-Zamakhshari / Dar Al-Kutub Al-Alamiyyah, Beirut, 1986